بسم الله الرحمن الرحيم

تحديد أول وقت صلاة الظهر

محمد شوكت عودة
مركز الفلك الدولي

العنوان: شارع بينونة، ص.ب. 41353 أبو ظبي – الإمارات
هاتف: 00971-50-8215336
بريد إلكتروني: modeh@icoproject.org

* الملخص

تناقش الورقة تحديد أول وقت صلاة الظهر، حيث تعرض بداية معلومات فلكية حول سير الشمس في السماء المتعلق بموعد صلاة الظهر، ثم تعرض آراء بعض الفقهاء حول أول موعد صلاة الظهر، والذي هو زوال الشمس، ثم تناقش بالتفصيل ما حدده الفقهاء في معنى زوال الشمس، حيث تبين الورقة أن هذا يتحقق بازدياد طول الظلال ويتحقق أيضا من خلال انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق، وفي حين أن ملاحظة ازدياد طول الظلال بالعين المجردة يحتاج إلى عدة دقائق بعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار)، فإن انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق يمكن ملاحظته بالعين المجردة بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار)، وبالتالي تخلص الورقة إلى أن أول موعد صلاة الظهر يتحقق بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار).

Determining the Beginning of Dhohor Prayer Time

Mohammad Shawkat Odeh
International Astronomical Center (IAC)

* Abstract

The paper discusses the determination of the beginning of Dhohor prayer time. At first, it explains the movement of the Sun in the sky which is related to Dhohor time, then it lists some juristic opinions in this regard. After that, it discusses in details what the jurists mean by Sun Transit (Zawal). Afterwards, the paper shows that Sun Transit (Zawal) is fulfilled by the increase of the object's shadow, and it is also fulfilled by the displacement of the shadow from West to East. Whereas noticing the incrase of the shadow needs few minutes to be noticed by nakes eye, the displacement of the shadow from West to East can be actually noticed within seconds after the center of Solar disk crosses the meridian. Thus, the paper concluds that Dhohor payer time starts once the center of the Solar disk crosses the meridian.

* المقدمة:

إن جميع مواقيت الصلاة عبارة عن ظواهر فلكية يمكن معرفتها وحسابها رياضيا، وفي حين أن بعض مواقيت الصلاة مثل الفجر والعشاء شهدت خلافا كبيرا في تحديد أول وقتها، فإن بداية موعد صلاة الظهر يشهد خلافا أقل حدة، بل حتى إن الهامش الزمني بين الفرقاء المختلفين لا يتعدى أكثر من حوالي خمسة دقائق بشكل عام. فالجميع متفق على أن البداية الشرعية لصلاة الظهر هي زوال الشمس، أي ميلها عن وسط السماء، وإنما وقع الخلاف في التحديد الدقيق لهذا الوقت.

* المعطيات الفلكية والفقهية لأول وقت صلاة الظهر:

نبين فيما يلي حركة الشمس في السماء المتعلقة بوقت صلاة الظهر مع الإنتباه للملاحظتين التاليتين التي اعتمدناهما لتبسيط الشرح:

- إن الشرح التالي ليس هو الحال في جميع المناطق على مدار العام، ولكنه الحال الأغلب في مناطقنا الشمالية، وعلى كل الحال فالفرق بين شرحنا وبين الواقع في بعض المناطق في بعض أيام السنة لا يؤثر على المفاهيم الأساسية في الشرح.
- سنستخدم مصطلح اختفاء الظل على الرغم من أن الظل لا يختفي في أي وقت من أوقات السنة أو اليوم، فحتى عندما تكون الشمس في نقطة سمت الرأس فإن الظلال تكون عامودية ولا تختفي في ذلك الوقت.

تشرق الشمس من جهة الشرق صباحا وتكون الظلال عندئذ طويلة جدا ومتجهة نحو جهة الغرب، وبمرور الوقت ترتفع الشمس أكثر في السماء وتبتعد عن الأفق وتأخذ الظلال بالنقصان، إلى أن تصل الشمس إلى جهة الجنوب تماما وعندها تقع الشمس على خط الزوال، وخط الزوال أو ما يسمى خط منتصف النهار هو خط وهمي في السماء يقسم السماء إلى قسمين، قسم شرقي وقسم غربي، فهو خط يبدأ من الأفق الشمالي مارا بنقطة سمت الرأس، وهي النقطة التي تقع فوق رأس الراصد مباشرة، وينتهي عند الأفق الجنوبي، وعندما تقع الشمس على خط الزوال تكون الظلال أقصر ما يمكن، وتكون الشمس حينئذ أعلى ما يمكن في السماء، وإذا وقعت الشمس حينئذ في نقطة سمت الرأس فعندها تختفي الظلال، وبعد أن تتحرك الشمس بعيدا عن خط الزوال، أي عندما تتحرك من جهة الجنوب باتجاه جهة الغرب تأخذ الظلال بالزيادة، وتكون الظلال قبل الزوال مائلة نحو جهة الغرب، أما بعد الزوال تميل الظلال نحو جهة الشرق. وبعد أن تزول الشمس يقل ارتفاعها شيئا فشيئا إلى أن تصل إلى جهة الغرب وتغرب الشمس.

إذا هناك أربعة أمور تحدث عندما يكون مركز قرص الشمس على خط الزوال، وهي:

1- تكون الظلال أقصر ما يمكن، وقد تختفي في بعض أيام السنة.
2- تكون الشمس أعلى ما يمكن في السماء، وقد تقع في نقطة سمت الرأس.
3- تقع الشمس في جهة الجنوب تماما (بالنسبة لنصف الكرة الشمالي).
4- تكون الظلال قبل الزوال مائلة نحو جهة الغرب، وتكون بعد الزوال مائلة نحو جهة الشرق. (بالنسبة لنصف الكرة الشمالي).

نعرض فيما يلي الاحتمالات الممكنة لتحديد أول وقت صلاة الظهر، وهو زوال الشمس عن وسط السماء:

1- الرأي الأول: يحين الزوال عند عبور مركز قرص الشمس خط الزوال (خط منتصف النهار). وهذا هو المعمول به في عدة دول إسلامية.
2- الرأي الثاني: يحين الزوال عندما تعبر حافة قرص الشمس الشرقية (الحافة التي تقع إلى اليسار بالنسبة للناظر إلى الشمس) خط الزوال. وفي هذه الحالة فإن جميع قرص الشمس يكون قد زال وغادر وسط السماء. وهذا معتمد في بعض الدول الإسلامية.
3- الرأي الثالث: هناك فريق آخر يرى أن مصطلح زوال الشمس الشرعي لا يحين إلا بعد مرور فترة زمنية من وصول مركز الشمس لخط الزوال، وحجتهم بذلك أن العين تحتاج إلى فترة حتى تلاحظ ازدياد طول الظلال بعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال. ومنهم من قدر هذا الوقت بدقيقتين، ومنهم من قدره بخمس دقائق ومنهم من زاد على ذلك. وهذا معتمد أيضا في بعض الدول الإسلامية.

نستعرض تاليا آراء بعض المفسرين والفقهاء حول أول وقت صلاة الظهر والمقصود بمصطلح الزوال:

قال الشافعي (204 هـ) في كتاب الأم: "وأول وقت الظهر إذا استيقن الرجل بزوال الشمس عن وسط الفلك، وظل الشمس في الصيف يتقلص حتى لا يكون لشيء قائم معتدل نصف النهار ظل بحال، وإذا كان ذلك فسقط للقائم ظل، ما كان الظل، فقد زالت الشمس..... وإنما يعلم الزوال في هذه الأوقات بأن ينظر إلى الظل، ويتفقد نقصانه، فإنه إذا تناهى نقصانه زاد، فإذا زاد بعد تناهى نقاصنه فذلك الزوال هو أول وقت الظهر" [3].

قال موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي (620 هـ) في المغني شرحا لقول الإمام الحنبلي (241 هـ): "ومعنى زوال الشمس ميلها عن كبد السماء، ويعرف ذلك بطول ظل الشخص بعد تناهى قصره، فمن أراد معرفة ذلك فليقدر ظل الشخص، ثم يصبر قليلا، ثم يقدره ثانيا، فإن كان دون الأول فلم تزل، وإن زاد ولم ينقص فقد زالت" [4].

قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي في كتابه التلقين في الفقه المالكي: "أما وقت الظهر التي لا تجب قبله ولا يجوز تقديمها عليه، فهو زوال الشمس، ومعرفة ذلك في غالب الأحوال، هو بأن تقيم عودا مستويا فترى ظله في أول النهار □ويلا ممتدا، ثم لا يزال في نقصان مع اتساع النهار كلما قرب من الزوال إلى أن ينتهي إلى حد يقف عنده، ثم يعود في الطول فذلك هو الزوال." [5].

الاقتباس من قول القرافي (684 هـ) في كتابه "اليواقيت في أحكام المواقيت" التالي ذكره، والاقتباس من قول الملا على القاري في "مرقاة المفاتيح" التالي ذكره أيضا.

يتضح لنا من خلال هذه الآراء بأن الفقهاء قد حددوا موعد زوال الشمس عن وسط السماء بأحد الأمور التالية:
1- بداية ازدياد طول الظلال بعد أن تصل إلى أقصر ما يمكن، وهذا لا يتحقق إلا بعد عبور مركز الشمس لخط الزوال بعدة دقائق.
2- انحراف الظل من جهة الغرب نحو جهة الشرق، وهذا يتحقق بمجرد عبور مركز الشمس لخط الزوال.

إننا نرى أن التعريف الأنسب لأول وقت صلاة الظهر هو عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار)، وذلك للأسباب التالية:

1- إن طول الظلال يزداد فعلا بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال، لأن الشمس تبدأ فعلا بالانخفاض نحو الأفق بمجرد عبور مركزها لخط الزوال. فكون مقدار الزيادة تكون في البداية صغيرة جدا وقد يصعب على العين المجردة ملاحظتها لا ينفي أن طول الظل قد ازداد بالفعل بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال.

2- إن انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق يحصل فور عبور مركز الشمس لخط الزوال، ودليل ذلك أننا إذا استخدمنا مسطرة مدرجة، وأردنا معرفة الوقت الذي نحتاجه حتى نلاحظ تحرك الظل على تدريج المسطرة بالعين المجردة، فإننا سنجد أنه يمكننا رؤية تحرك الظل فور وصول مركز الشمس لخط الزوال، ولن نحتاج إلى فترة زمنية بعد وصول مركز قرص الشمس لخط الزوال لنلاحظ تحركه. وهذا يعني أن انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق يتحقق فور عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار).

وتجدر الإشارة إلى أن الفترة الزمنية بين عبور مركز الشمس لخط الزوال وعبور حافتها لخط الزوال هو مقدار بسيط ولا يشكل مشكلة حقيقية، ويبين الجدول التالي هذا الزمن بالنسبة لمختلف فصول السنة، ولا يؤثر اختلاف خط العرض على هذه القيم بشكل يذكر. علما بأن الوقت مبين بالدقائق والثواني. ونستنتج من الجدول أن الفارق يساوي حوالي الدقيقة فقط، وبالتالي إن هذه الإشكالية ليست ذات أهمية تذكر.

الربيع	الصيف	الخريف	الشتاء
01:04	01:09	01:04	01:12

جدول (1): الفترة الزمنية بين عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال وعبور حافتها

* آراء الفقهاء التي تؤيد أن عبور مركز الشمس لخط الزوال هو أول وقت صلاة الظهر

قال ابن كثير (774 هـ) في تفسيره: "هذا دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه {ذات اليمين} أي: يتقلص الفيء يمنة، كما قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة: {تزاور} أي: تميل؛ وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان" [1].

ينص ابن كثير في هذا الاقتباس وبوضوح أن الزوال يكون عندما يصل الظل إلى أقصر ما يمكن (وعبر عن ذلك باختفاء الظل)، وهذا يحين عندما يعبر مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار) بلا خلاف.

قال الشوكاني (1250 هـ) في فتح القدير: ".... ومنه قيل للظل بعد الزوال: فيء؛ لأنه رجع عن جانب المشرق إلى جانب المغرب" [2].

يقول الشوكاني في هذا الاقتباس أن الظل بعد الزوال يتجه نحو الشرق، وهذا يتحقق بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط منتصف النهار) دون حتى الحاجة للانتظار لزوال كامل قرص الشمس عن وسط السماء.

ومن أفضل ما كتب في هذه المسألة ما كتبه القرافي (684 هـ) في كتابه "اليواقيت في أحكام المواقيت"، حيث قال: "وقع لكثير من الفقهاء أن الزوال لا يتحقق إلا بزيادة الظل بعد نقصانه، وهو المنصوص في كتب الفقه، فيقولون: يجب الظهر بزوال الشمس، وعلامة ذلك زيادة الظل بعد نقصانه، وليس الأمر كذلك، بل يحصل الزوال والظل لم يزد شيئا، ويعرف ذلك من الرخامات الموضوعة لمعرفة الأوقات، فإن فيه خط زوال ممتدا من الجنوب إلى الشمال، فمتى كان الظل غربيا لم تصل الشمس إلى خط الزوال بعد في السماء، ومتى وصل الظل إليه وانطبق عليه فقد وصلت الشمس إلى قوس الزوال في كبد السماء، ومتى خرج الظل عن ذلك الخط في الرخامة فقد زالت الشمس عن وسط السماء وأخذت في انحطاط إلى أفق المغرب، وعند أول خروج الظل عن خط الزوال في الرخامة في زمان الصيف يكون الظل قصيرا عند الزوال، يشاهد □ول الظل قبل أن يصل إلى ذلك الخط قريبا منه في قدره إذا وصل إليه، وإذا خرج عنه □ول الظل في الثلاثة أحوال واحدا في الحس، ومع ذلك يقطع بالزوال، فيعلم أنه لا يشترط في الزوال زيادة الظل..... بل الحق أن الزوال يتحقق بالعلم بخروج الشمس عن وسط السماء، ويعلم ذلك بطرق، أحدها زيادة الظل، ولا يلزم من عدم دليل معين عدم المدلول؛ لجواز قيام دليل آخر غيره". [6].

وقول القرافي هذا لا يحتاج لكثير شرح، فهو ينص صراحة على أن أول وقت صلاة الظهر لا يشترط فيه ملاحظة ازدياد طول الظل، بل يكتفي لمعرفته التحقق من خروج الشمس عن وسط السماء، والذي يعلم بعدة طرق، إحداها هو عبور الظل لخط الزوال المرسوم على الأجهزة التي كانت مستخدمة قديما لمعرفة مواقيت الصلاة، وعبور الظل لهذا الخط هو انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق.

وقد قال بمثل هذا الملا على القاري في "مرقاة المفاتيح"، حيث قال: "معنى زوال الشمس هو أن يكون ظل كل شيء من أول النهار إلى المغرب أي جهته كثيرا، ثم يأخذ في النقصان قليلا قليلا إلى أن وقف لمحة، فإذا زال الظل بعده إلى المشرق فهو أول وقت الظهر." [7].

فجملة "فإذا زال الظل بعده إلى المشرق فهو أول وقت الظهر" تتحقق بمجرد عبور مركز قرص الشمس الشمس لخط الزوال (خط وسط السماء).

وممن قال بذلك فضيلة الشيخ ابن عثيمين، حيث قال: "فوقت الظهر من زوال الشمس وهو تجاوزها وسط السماء وعلامته ابتدأ زيادة الظل بعد انتهاء قصره فإذا كان الظل ينقص فما زال ينقص فإن الشمس لم تزل فإذا بدأ بالزيادة أدنى زيادة فإن ذلك علامة زوال الشمس وهو باعتبار الساعات أن تنصف ما بين □لوع الشمس إلى غروبها فالنصف به يكون زوال الشمس." [8]

فقد نص صراحة أن أول وقت صلاة الظهر يكون بتجاوز الشمس لخط وسط السماء، بل وأكد ذلك بقوله أن وقت الزوال هو منتصف الوقت بين الشروق والغروب، وهذا هو وقت عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط وسط السماء) بالضبط.

* مراقبة انحراف الظل من الغرب إلى الشرق

قد يرغب أحد المهتمين إجراء تجربة ملاحظة انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق بنفسه، ويرغب بأن يرى بعينه المجردة هل فعلا سيتمكن من ملاحظة تحرك الظل فور عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال، وهذه التجربة سهلة. فمواعيد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال تنشرها الجهات الفلكية بدقة عالية تصل إلى أجزاء الثانية، ويمكن استخدام برنامج **المواقيت الدقيقة** [11] مثلا لمعرفة هذا الموعد لأي يوم من الأيام ولأي موقع على الكرة الأرضية، والبرنامج يمكنه أن يعطي الجواب لأقرب ثانية. فعلى سبيل المثال نجد أن موعد العبور لمدينة مكة المكرمة يوم 14 مايو 2015م هو في الساعة الثانية عشرة ظهرا و 17 دقيقة وثانية واحدة. فإذا أحضرنا شاخصا صغيرا مثل قلم مدبب، وضعناه بشكل عاموي على الأرض، ووضعنا عند نهاية ظله مسطرة ووضعنا الظل على إحدى التدريجات الموجودة على المسطرة، فإننا سنلاحظ أن الظل في الواقع دائم الحركة، وأنه في خلال ثواني معدودة سينتقل إلى التدريج التالي على المسطرة.

وحتى يكون طرحنا عمليا أيضا، قمنا فعلا بإجراء هذه التجربة وصورناها بالفيديو، وتم رفع الفيديو على اليوتيوب على العنوان التالي (http://youtu.be/bm9xYUvmGZo). حيث تم إجراء التجربة يوم 11 نيسان / إبريل 2015م من مدينة أبوظبي، فقمنا أولا بحساب موعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال بالنسبة لموقعنا، ووجدنا أنه في الساعة 12 ظهرا و 23 دقيقة و 37 ثانية، وقمنا بوضع شاخص دقيق، ووضعنا ظله على مسطرة مدرجة. وبدأنا التسجيل قبل وقت العبور بأربع دقائق، وبقينا نراقب تحرك الظل على تدريج المسطرة، وكنا نلاحظ فعلا أن الظل في حركة مستمرة، وكان المطلوب هو معرفة الزمن اللازم لكي نلاحظ بالعين المجردة تحرك الظل على تدريج المسطرة بعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال. وكانت النتيجة أننا لاحظنا تحرك الظل على تدريج المسطرة بعد أقل من 15 ثانية من عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال. وقد عرضنا مقطع الفيديو هذا على أكثر من شخص ممن يتصف بسلامة النظر، وتراوحت إجاباتهم بين 10 و 15 ثانية.

هل العبرة هي مراقبة الشمس أم مراقبة الظل؟

قد يسأل سائل هل المطلوب لتحديد أول وقت صلاة الظهر مراقبة الشمس أم مراقبة الظل؟ فالفقهاء لم يذكروا بشكل عام موضوع مركز الشمس أو حافتها، بل كما لاحظنا من اقتباساتهم أنهم يذكرون الظل لمعرفة موعد أول وقت صلاة الشمس، فلماذا يناقش البحث جزئية عبور المركز أم عبور الحافة؟ فنقول أن المطلوب فعلا هو مراقبة الظل، ويكون أول موعد صلاة الظهر عندما يبدأ الظل بالزيادة بعد تناهي قصره أو عندما تبدأ الظلال بالانحراف من جهة الغرب إلى جهة الشرق. ولكن بالنسبة للحاسبين في وقتنا الحاضر فإن المحسوب هو موقع الشمس، ومنها يحدد الحاسب أول وقت صلاة الظهر! فإذا قلنا أن الموعد الصحيح لأول وقت صلاة الظهر هو انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق فعندها يقوم الحاسب بحساب موعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال، ويجعله هو أول موعد صلاة الظهر. أما إذا قلنا أن الموعد الصحيح لأول وقت صلاة الظهر عندما تلاحظ العين ازدياد طول الظل بعد تناهي قصره، فعندها يحسب الحاسب موعد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال، ويزيد عليه عددا من الدقائق التي تسمح للعين ملاحظة ازدياد الظل، وهذه الدقائق كما ذكرنا سابقا حددها البعض بدقيقتين وحددها آخرون بخمس دقائق وحددها آخرون بأكثر من ذلك.

قد تحل هذه الإشكالية إذا عرفنا الطريقة التي كان يستخدمها الأقدمون لمعرفة أول وقت صلاة الظهر! فبالتأكيد لم يكونوا في قديم الزمان يحسبون لا مركز الشمس ولا حافتها! إنما كانوا يستخدمون طريقة ما يعرفون من خلالها أول وقت صلاة الظهر! فهل يا ترى كان الموقتون قديما يقيسون طول الظل ويبقون هكذا لفترة من الزمن إلا أن يلحظوا ازدياد طول الظل بعد تناهي قصره! في الواقع لم تكن هذه الطريقة الأشهر والأكثر استخداما التي كانوا يعرفون من خلالها أول وقت صلاة الظهر! بل استخدموا لذلك آلة فلكية مشهورة، وهي المزولة الشمسية! فهذه الأداة لطالما استخدمها الموقتون لمعرفة أوقات الصلاة وتحديدا وقتي صلاة الظهر والعصر [9] ، ومنها المزولة الشمسية التي كانت فوق بئر زمزم والتي استخدمها المؤذنون في الحرم المكي لمعرفة أوقات الصلاة خاصة الظهر والعصر (انظر صورة المزولة في نهاية البحث). وهذه المزولة تتكون من شاخص له ظل، وخطوط على رخامة، وأحد أهم هذه الخطوط هو الخط المكتوب عليه خط نصف النهار، وكما يتضح من الصورة لا يوجد على المزولة ما يمكن من خلاله معرفة طول الظل، بل كان يستخدم خط نصف النهار، فما أن يلحظ المؤذن تجاوز ظل الشاخص لهذا الخط إلا وأذن لصلاة الظهر، وهذا ما ذكره القرافي في الاقتباس السابق. وهذا الطريقة تتطابق تماما مع التجربة التي قمنا بها والمذكورة آنفا، والتي لاحظنا من خلالها انحراف الظل بالعين المجردة بعد عبور مركز الشمس لخط الزوال بفترة تتراوح من 10 إلى 15 ثانية. وفي الواقع لو استخدمنا شاخصا ظله أدق من الذي استخدمناه أو لو صنعنا مزولة حقيقية أكثر دقة للاحظنا تحرك الظل في أقل من ذلك.

وقت كراهية الصلاة عند الاستواء

من المعلوم أنه من المكروه أداء الصلاة وقت استواء الشمس، ويهمنا التفصيل في هذه الجزئية لأنها قد تكون إشكالية في اعتماد أحد التعاريف لموعد أول وقت صلاة الظهر. وبالرجوع إلى بحث جمع عدة آراء، نجد أن الفقهاء قد اختلفوا في مقدار وقت الكراهة، فمنهم من قال أنه وقت صغير لا يسع صلاة بل يسع تحريما وهذا ما تناقلته بعض الشافعية عن ابن حجر. ومنهم من قدره بميل جميع قرص الشمس عن وسط السماء أي أنه دقيقة واحدة، ومنهم الحطاب المالكي، وإن كان قد أخطأ بمقدار الوقت الذي يحتاجه قرص الشمس للزوال عن وسط السماء فقدره بدقيقتين مع أنه يبلغ دقيقة واحدة وبضعة ثواني فقط. ومنهم من قدره بلحظة مثل عبد الكريم نصر [10] .

ونقول، إذا قبلنا الرأي القائل بأنه وقت يسير جدا قد يصل إلى لحظة فلا توجد إشكالية في أي تعريف اعتمدنا لأول وقت صلاة الظهر. وأما إن قلنا أنه لا يعقل أن يكون وقت الكراهية صغيرا جدا إلى هذا الحد فجعله في ثانية أو حتى في ثوان أمر غير منطقي، فكيف يكره وقت للصلاة وهو لا يتسع لصلاة أصلا! فإن اعتمدنا هذا القول، فسنرفض أيضا الرأي القائل أن زوال الشمس لا يحين إلا بزوال جميع قرصها عن وسط السماء، فهذا الزمن مقداره دقيقة واحدة فقط كما أسلفنا! وهو أيضا وقت يسير لا يتسع لصلاة! بل إن اعتبار أول وقت صلاة الظهر بعد دقيقتين من عبور مركز الشمس لخط الزوال أيضا لا يحل إشكالية، فما زال الوقت يسيرا، ولا يعقل أن تكون الكراهية في زمن مقدارة دقيقتين فقط.

إننا نرى بل إن الفقهاء أصلا ينصون على أن الكراهية هي في الزمن الذي يسبق الزوال! فحتى لو كان الفقيه يرى أن الوقت قد يمتد إلى 15 أو 20 دقيقة فلا توجد إشكالية في ذلك، فكل ذلك الوقت هو قبل زوال الشمس بغض النظر عن تعريف الزوال الذي اعتمدناه! فإن قلنا أن التعريف الصحيح لأول وقت صلاة الظهر يحين بانحراف الشمس نحو الغرب وهو نفسه

انحراف الظل من الغرب إلى الشرق وهو نفسه تعدي ظل الشاخص في المزولة لخط منتصف النهار على الرخامة، وأن هذا يتحقق بمجرد عبور مركز الشمس لخط الزوال، فإن وقت الكراهية هو الوقت الذي يسبق هذه اللحظة! ولا داعي لربط الموضوع بلحظة استواء الشمس أي وقوع مركز الشمس على خط الزوال (منتصف النهار) في السماء! فربطه في هذه اللحظة والاشتراط على أن زمن الكراهية يبدأ من هذه اللحظة سيؤدي لرفض معظم التعاريف التي يطالب بها معارضوا جعل أول وقت صلاة الظهر هو عبور مركز الشمس لخط الزوال! والبعض يتحايل على هذه الإشكالية بالقول أن وقت صلاة الظهر لا يحين إلا بعد 5 أو 7 دقائق من عبور مركز الشمس لخط الزوال، وهذا مخالف لتعاريفهم التي وضعوها أصلا! فالعين المجردة تستطيع تمييز ازدياد طول الظل بعد دقيقتين فقط من عبور مركز الشمس لخط الزوال في معظم الأوقات والأماكن! فكيف لنا أن نؤخر تحديد أول وقت صلاة الظهر على الرغم من أننا نلاحظ بأعيننا انحراف الظل من الغرب إلى الشرق ونلاحظ أيضا ازدياد طول الظل بعد تناهي قصره!

إن هذه الإشكالية تقع لأن أصحاب هذا الرأي مصرون على بدء وقت الكراهية من لحظة استواء الشمس ذاتها، أي وقوع مركز الشمس على خط الزوال (خط منتصف النهار)، ولو جعلوا وقت الكراهية هو الوقت الذي يسبق زوال الشمس لما وقع كل ذلك الأمر!

* الخلاصة:

لا خلاف في أن أول وقت صلاة الظهر هو زوال الشمس عن وسط السماء، وإنما وقع الخلاف في تحديد متى تزول الشمس عن وسط السماء، فذكر الفقهاء أنه يحدث عندما تبدأ العين بملاحظة ازدياد طول الظل بعد تناهي قصره، وذكر الفقهاء أيضا أنه يحدث بمجرد انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق، وهو نفسه تجاوز ظل الشاخص لخط الزوال (منتصف النهار) المرسوم على الرخامة في المزولة الشمسية. ونستنتج من بعض أقوال الفقهاء أن العبرة ليست ملاحظة ازدياد طول الظل، بل العبرة هي التيقن من خروج الشمس من وسط السماء، وهذه تعرف بعدة طرق، أحدها هو ازدياد طول الظل، ومن الطرق الأخرى هي مراقبة اتجاه الظل، فما أن نلاحظ بالعين انحراف الظل من جهة الغرب إلى جهة الشرق، فقد تحقق زوال الشمس، وهذه العلامة يمكن ملاحظتها بالعين بمجرد عبور مركز قرص الشمس لخط الزوال (خط وسط السماء). فعلامة ازدياد طول الظل هي إحدى العلامات وليست العلامة الوحيدة أو الوحيدة المشترطة. ونرى أنه إذا تمكنا سواء حسابيا أو من خلال الرصد بالعين تحديد هذا الخط واستطعنا معرفة الوقت الذي يعبر الظل عنده هذا الخط، فإن هذا الوقت هو أول وقت صلاة الظهر شرعا، كما نص على ذلك غير فقيه.

فأما إن اعتمدنا أن الزوال لا يتحقق إلا بتحقق جميع العلامات وهي ازدياد طول الظل بعد تناهي قصره وعند انحراف الظل من الغرب إلى الشرق أيضا، وأن ذلك يجب ملاحظته بالعين فإن هذا لا يتحقق لا بعبور مركز الشمس لخط الزوال ولا بعبور جميع قرص الشمس لخط الزوال، فالدقيقة الواحدة ليست كافية لكي تلاحظ العين ازدياد طول الظل. بل إن هذا يتحقق بعد مرور زمن يتراوح من دقيقتين إلى حوالي خمس دقائق على الأقل في بعض الأيام، وهذه الفترة الزمنية تختلف من فصل إلى آخر ومن خط عرض لخط عرض آخر. فمن اعتمد هذا التعريف لأول وقت صلاة الظهر وجب عليه تغيير الزمن المضاف على موعد عبور مركز الشمس لخط الزوال اعتمادا على خط العرض الجغرافي وعلى اختلاف الفصل من السنة.

وأما إن اعتمدنا أن الزوال يحين عند تحقق إحدى العلامات، فإن انحراف الظل من الغرب إلى الشرق، يتحقق بمجرد عبور مركز الشمس لخط الزوال، وإذا عدنا إلى الماضي قبل وضع التقاويم فإننا نجد أن معظم المساجد الكبيرة كان فيها مزولة لمعرفة أوقات الصلاة، وبالنسبة لاستخدام المزولة لمعرفة أول وقت صلاة الظهر فإن الموقت في الواقع لم يكن يعرف وقت الزوال من خلال اختلاف طول الظل لأن معظم المزاول لا تحتوي على تدريج يبين طول الظل، بل جلها يحتوي على خط منتصف النهار، وكان الموقت يرفع آذان الظهر بمجرد ملاحظته عبور ظل الشاخص لخط منتصف النهار المرسوم على الرخامة في المزولة، وهذا في الواقع كما بينا بالتفصيل وبالفيديو يوافق عبور مركز الشمس لخط الزوال.

ولا نرى جدوى من اشتراط عبور كامل قرص الشمس لخط الزوال والاكتفاء به، فإضافته لم تزد شيئا إضافيا لعبور مركز الشمس لخط الزوال، والاكتفاء به لم يحقق الأمر الثاني الذي ذكره الفقهاء وهو ملاحظة ازدياد طول ظل الشاخص بعد تناهي قصره. والموقتون الأقدمون لم يكترثوا أصلا لا لمركز الشمس ولا لحافتها، بل وقتوا الظهر من خلال الظلال، والذي يعنينا أن نعرف أي التعاريف يوافق ما كان يعتمده الموقتون لمعرفة أول وقت صلاة الظهر.

إذا فأول وقت صلاة الظهر إما أن يكون بعد عبور مركز الشمس لخط الزوال بزمن يتراوح بين دقيقتين إلى خمس دقائق، وذلك حسب الوقت من السنة وحسب خط العرض الجغرافي، وإما أن يكون فور عبور مركز الشمس لخط الزوال، ونرى أن الثاني أقرب للصواب ويتوافق مع الطريقة التي لطالما استخدمها الموقتون في مختلف مساجد العالم الإسلامي.

* الكاتب:
م. محمد شوكت عودة: مدير مركز الفلك الدولي، رئيس المشروع الإسلامي لرصد الأهلة ICOP، رئيس لجنة رصد الأهلة والمواقيت في الجمعية الفلكية الأردنية (خلال الفترة 1995 – 2009)، عضو مؤسس في الإتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك، عضو اللجنة الرسمية التابعة لوزارة الأوقاف لحساب مواقيت الصلاة في الأردن. عضو الجنة الرسمية التابعة للهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف لمراجعة مواقيت الصلاة في دولة الإمارات. عضو اللجنة الرسمية التابعة للمجمع الفقهي (رابطة العالم الإسلامي) لحساب مواقيت الصلاة في أوروبا.
(modeh@icoproject.org).

1- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (توفي 774 هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1999م.

2- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (توفي 1250 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 2007م.

3- كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي (توفي 204 هـ)، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، الأردن.

4- المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي (توفي 620 هـ)، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، 1997م.

5- التلقين في الفقه المالكي، القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

6- اليواقيت في أحكام المواقيت، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق جراح نايف الفضلي، تقديم عبد العزيز خليفة القصار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2011م.

7- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، تحقيق جمال العيتاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2001م.

8- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الخطب، العبادات، الصلاة، أوقات الصلاة،
http://www.ibnothaimeen.com/all/khotab/article_435.shtml

9- الفلك القديم في الجزيرة العربية، الدكتور أيمن كردي، جامعة الملك سعود، 2007،
http://faculty.ksu.edu.sa/akordi/publishwork/Forms/DispForm.aspx?ID=10

10- المعايير الفقهية والفلكية لدخول وقت الظهر، الدكتور نزار الشيخ، من أبحاث الدورة العشرين للمجمع الفقهي، 2010م، منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.

11- المواقيت الدقيقة، برنامج حاسوب،
http://www.icoproject.org/accut.html

خط نصف النهار
مزولة شمسية لتحديد أوقات الصلوات قبل أن يتم طباعة ونشر التقويم الهجري
كانت على سطح بئر زمزم مؤرخة عام ١٠٢٣هـ
A marble midday timer used to determine prayer times before
the printing of the Hijri Calendar